عملت الظروف المختلفة على طمس الهوية الفلسطينية وتحويل الصراع من صراع وجود إلى صراع حدود، وبعد أن محي اسم فلسطين وصارت قضية فلسطين بلا فلسطينيين، حتى أن غولده مئير، رئيسة وزراء اسرائيل السابقة، استهجنت خلال زيارتها بريطانيا بعد عدوان ١٩٦٧ أن يسألها الصحافيون عن مصير الفلسطينيين وقالت غاضبة: الفلسطينيون. من هم؟

وفي أواخر السبعينات وفي أعقاب حرب تشرين الأول (أكتوبر) ونتيجة لها، كان الوطن العربي متجهاً إلى التكامل والتضامن، لولا أن نظام السادات أحدث خللاً كبيراً في الموقف العربي بتوقيعه معاهدة كامب ديفيد الخيانية وانتقاله إلى الطرف المعادي.

والجدير بالذكر أن **الثورة الفلسطينية**، على الرغم من الضربات المتوالية التي وجهت إليها على يد الاستعمار وعملائه، نجحت في بناء مؤسسات الكيان الفلسطيني من خلال منظمة التحرير الفلسطينية وفي اعادة تشكيل الشعب العربي الفلسطيني وتجنيده لصالح قضية التحرير سواء في الشتات أم في داخل الوطن المحتل، كما احتلت مكانة دولية فائقة، وأصبحت منذ ذلك الحين عنصراً أساسياً وفعالاً في معادلة الصراع؛ مما يعد بحد ذاته ضربة كبرى للوجود الصهيوني نفسه في أرض فلسطين. ومن هنا تستمر المحاولات الاسرائيلية، منذ سنوات، للقضاء على الوجود المادي للثورة الفلسطينية وشعبها بعد أن عجزت عن القضاء السياسي عليها؛ وهذا هو تفسير الحملات العسكرية الغاشمة على الثورة في لبنان وما أخذته عام ١٩٨١ من بعد جديد بمحاولة تدمير أحياء معينة في بيروت والمدن اللبنانية الأخرى. يضاف إلى ما سبق كله أن الوطن العربي شهد نمواً عسكرياً مرموقاً سواء من حيث الكم أم من حيث النوع، وأصبحت الجيوش العربية اليوم غيرها بالأمس، وأن أية فرصة تتاح لحشد نصف الامكانات العسكرية العربية فقط يمكن أن تؤدي إلى تقدم عربي عسكري حاسم، وأن الازدياد الواضح في اتجاه السياسة الاسرائيلية نحو التشنج والتعنت والتهور، ولا سيما في السنوات الأخيرة، يعتبر انعكاساً لما تحسّ به اسرائيل من ضعفها الداخلي وفقد تميزها، وعجزها عن مواكبة النمو العربي في جوانبه المختلفة.

رابعاً ــ احتدام الصراع وأفق المستقبل

لم يكن قيام الدولة الصهيونية خاتمة للصراع ولا انتصاراً تاريخياً نهائياً يطمس ما قبله، ولكنه كان مرحلة جديدة خطيرة من مراحل الصراع مصحوبة بوعي كامل لدى الطرفين لهذه الحقيقة البارزة؛ فالطرف الاسرائيلي اعتبر قيام الدولة مجرد بذرة لتحقيق أطماع الصهيونية التي تتناول المشرق العربي بأكمله، والطرف العربي لم يقبل بالهزيمة اطلاقاً ولم يعترف بها أصلاً، وظل شغله الشاغل منذ ذلك الحين إزالة الباطل الذي أقيم بالقوة الغاشمة واحقاق الحق العربي الفلسطيني... ومن هنا مثلاً لقي المبدأ الذي أطلقه حزب البعث العربي الاشتراكي باعتبار قضية فلسطين القضية العربية المركزية الأولى قبولاً واسعاً لدى القطاعات المختلفة للجماهير العربية... وقد سبب العجز العربي عن اتخاذ موقف عملي لرفض الهزيمة هزات كبرى سواء في الوجدان العربي أم في الهياكل السياسية والحزبية على امتداد الوطن العربي كله.